حصار مخيم اليرموك

محاولة لكسر إرادة اللاجئ وحرف للاتجاه

يبلغ عدد اللاجئين الفلسطينيين في سورية المسجلين لدى الاونروا حوالي 518,949 لاجئ يعيش حوالي 27 % منهم في المخيمات ([1]).ويضاف إليهم الذين لجؤا إلى سورية عامي 1967 و1970 ولم يتم تسجيلهم في سجلات الاونروا.

و يتمركز حوالي 80% من مجموع الفلسطينيين في سورية في إطار مدينة دمشق وضواحيها ([2])، وتعترف الاونروا بوجود عشرة مخيمات تقدم لها الخدمات المتنوعة والمكملة للخدمات التي تقدمها الحكومة السورية، هذه المخيمات هي (النيرب وسبينة وخان الشيح وخان دنون والعائدين في حمص وقبر الست (السيدة زينب) والعائدين في حماة ومخيمي درعا ودرعا الطوارئ بالإضافة إلى جرمانا) بينما اعتبرت أماكن تواجد الفلسطينيين خارج هذه المخيمات بتجمعات فلسطينية مثل (اليرموك والحسينية وعين التل (حندرات) والرمدان والرمل في اللاذقية غيرها) تقدم لها خدمات الحد الأدنى رغم ما تعانيه هذه التجمعات من ذات المشاكل التي يعانيها أبناء المخيمات الأخرى ([3]).

[1] الأرقام والإحصاءات لغاية 01 يوليو / تموز 2012 http://www.unrwa.org/atemplate.php?id=100

[2] استجابة الاونروا للازمة في سورية حزيران - كانون الثاني 2013
http://www.unrwa.org/userfiles/2013010273040.pdf

[3] مركز العودة الفلسطيني – لندن : دراسة حول الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في نخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سورية – موقع الكتروني http://www.prc.org.uk > r

مخيم اليرموك عاصمة الشتات الفلسطيني

يعد مخيم اليرموك أكبر المخيمات الفلسطينية في الداخل والخارج على حدٍ سواء، ورغم ذلك فهو غير معترف به من قبل الأونروا إلا أنها تقدم له الخدمات في جميع النواحي ماعدا النظافة والخدمات العامة.

و يقع مخيم اليرموك إلى الجنوب من مدينة دمشق حيث يبعد عن مركز المدينة 8كم إلى 10 كم، وتقدر مساحة المخيم (2110000متر مربع) اتسعت هذه المساحة عاماً بعد عام لتصبح حجم المساحة اليوم أضعاف تلك المساحة.

و تقدر الإحصائيات غير الرسمية أن عدد اللاجئين الفلسطينيين في مخيم اليرموك وصل اليوم إلى مابين 200 - 220 ألف لاجئ تقريبا.أما الإحصاءات الرسمية- حسب الاونروا - للعام 2012 فتتحدث عن 162230 لاجئ فقط، يتوزعون في المناطق التالية :

- المنطقة التي تسمى المخيم القديم والمحصورة ما بين شارعي اليرموك وفلسطين.والممتدة مابين الجسر عند مركز الشهيدة حلوة زيدان والشارع الواصل بين دوار فلسطين وشارع اليرموك والذي يسمى شارع القدس وامتداده إلى الغرب شارع نوح إبراهيم.
- حي التقدم والممتد مابين ارض البيطار وشارع العروبة.
- – حي العروبة والممتد من شارع العروبة حتى بساتين قرية يلدا
- حي 8 آذار والممتد مابين شارع ال30 عند مستشفى فلسطين حتى بناء بلدية الحجر الأسود.
- غرب اليرموك وهو المنطقة المحصور مابين شارع اليرموك وشارع صلاح الدين(شارع الـ 30).

- حي التضامن وهو المنطقة الواقعة شرق شارع فلسطين وأكثف هذه التجمعات خلف سينما النجوم وخلف معمل البسكويت.

- الحجر الأسود والممتد من شارع ال30 شمالا حتى القدم غربا وحجيرة والسبينة جنوبا ويلدا غربا وفي هذه المنطقة تقل نسب الفلسطينيين قياسا لباقي السكان المتواجدين في هذه المنطقة.

لقد دخلت المناطق المحيطة بالمخيم في أتون الأزمة مبكرا وتعرضت للقصف مرارا ً وشهدت اشتباكات عنيفة بين أطراف النزاع هناك ما لبثت أن انتقلت إلى المخيم لما يشكله من أهمية جغرافية لطرفي الأزمة في سورية فهو أحد أهم المنافذ للجيش الحر للعبور إلى المدينة وصلة الوصل بين طرفي المناطق التي بات يسيطر عليها، في حين يعمل الجيش النظامي على التصدي له بكل الوسائل واستخدام كل أنواع الأسلحة ليمنع أي تقدم أو خروج من اليرموك نحو دمشق والحفاظ على تقطيع أوصال المناطق التي يسيطر عليها الجيش الحر.

مخيم اليرموك في قلب الحصار

دأبت الجيوش والأجهزة الأمنية عبر التاريخ إلى استخدام الحصار بكل أنواعه كوسيلة من وسائل الحرب بهدف كسر إرادة الطرف الأخر وإجباره على الاستسلام، والشواهد على ذلك كثيرة فالمغول حاصروا بغداد قبل اقتحامها سنة 1258 م وكذلك الصليبيون حاصروا عكا، وفي العصر الحديث وعلى المستوى الفلسطيني فقد حوصر الفلسطينيون في سياق نضالهم التاريخي وفي مختلف مناطق اللجوء كما في الأردن ولبنان والعراق والآن في سورية، فهاهو مخيم اليرموك ومخيم سبينة وتجمع الحسينية للاجئين الفلسطينيين تعاني من أشد أنواع الحصار([4]).

و تفرض قوات النظام السوري بهدف إعادة السيطرة على بعض الأحياء الجنوبية لمدينة دمشق حصاراً خانقاً ً على مخيم اليرموك، بدأت إرهاصات هذا الحصار منذ صيف 2012 عندما بدأت بوضع الحواجز على أطراف المخيم ومداخله واستهداف

[4] يرزح مخيم اليرموك لحصار خانق منذ 66 يوم من تاريخ كتابة هذا التقرير.

حارته وأحيائه، والقيام بعملية القضم أولاً بأول، فأقامت حاجزاً على بداية الشارع الرئيسي لمخيم اليرموك من جهة الغرب والمسمى بشارع الثلاثين لينتقل بعد حين إلى منتصف الشارع باتجاه عمق المخيم.

كما أنّ استهداف حي الثامن من آذار وحي التقدم من جهة الحجر الأسود وحي الجاعونة من جهة شارع فلسطين - باعتبارها تمثل ممرات لعناصر الجيش الحر بنظر النظام - أدى إلى ترحيل معظم سكان تلك الأحياء باتجاه قلب المخيم، وتحييد مشفى فلسطين ومشفى الباسل الجراحي وتعطيل مهامهما في تقديم المساعدات الطبية للجرحى والمصابين من أبناء المخيم وهذا ما تأكد فيما بعد من خلال القصف المباشر الذي تعرضت له المركز الطبية الواقعة في تلك المناطق بتاريخ 13 كانون الأول 2012 م.

لقد شكل المخيم قبيل الفترة التي سبقت التهجير والحصار بيئة حاضنة وآمنة لسكان كل المناطق المحيطة به والرئة التي تتنفس منها ضواحي دمشق وريفها، التي تشهد نزاعات مسلحة وخصوصاً حي التضامن والقدم والعسالي ويلدا والحجر الأسود والميدان وغيرها، فمؤسسات المجتمع الأهلي الفلسطيني وسكان المخيم أرادوا رد جزءاً من الجميل والدين الذي احتفظوا به للشعب السوري فبادروا إلى افتتاح العديد من مراكز الإيواء للإخوة النازحين من السوريين والفلسطينيين ([5]) قدموا من خلالها كل ما يلزم من غذاء وكساء وفراش ودواء،و التي تعرض بعضها لاحقاً إلى الاقتحام لعدة مرات واعتقال بعض النزلاء والناشطين فيها، ويشار في هذا المقام إلى أن طائرة الميغ التي قصفت مخيم اليرموك بتاريخ 16 كانون الأول 2012 استهدفت مسجد عبد القادر الحسيني أحد تلك المراكز والذي راح ضحيته مئات الشهداء والجرحى من المدنيين والنازحين المقيمين فيه وتهجير حوالي 80 % من سكان مخيم اليرموك وفرض حصار قاسي على من تبقى منهم فيه.

[5] بلغت عدد مراكز الإيواء في مخيم اليرموك 11 مركزاً ضمت أكثر من 8500 نازح 74 % من السوريين و26 % من الفلسطينيين – تقرير ميداني.

لقد عمدت قوات النظام السوري إلى إطباق حصار خانق شمل جميع نواحي الحياة في المخيم فعملت على :

- منع إدخال الطحين والمازوت إلى الأفران داخل المخيم.فبعض الأفران تعمل مرة واحدة في الأسبوع، وقد تعرض في بداية الحصار أحد أصحاب الأفران للتحقيق من قبل الأجهزة الأمنية كونه المخبز الوحيد الذي استمر ولم يتوقف عن العمل، إلى أن نفذ ما لديه من طحين، كما شهد محيط عدد من المخابز كمخبز خطاب في شارع العروبة ومخبز أبو فؤاد في شارع اليرموك لسقوط عدة قذائف إثناء عملهما.

ونتيجة لقلة الطحين ومنع دخوله إلى المخيم فإن كمية الخبز المسموح ببيعها إن توفر هي ربطة واحدة لكل عائلة بمعدل ثمانية أرغفة.

و في هذا السياق يُذكر أن بعض الناشطين الفلسطينيين من الهيئة الخيرية لإغاثة الشعب الفلسطيني قد قدما حياتهما ثمناً لإدخال حوالي 150 ربطة خبز إلى المخيم حيث تم تنفيذ حكم الإعدام الميداني على احد الحواجز بحق كلاً من الشابين طه حسين وعمر الحارث.

- منع دخول الغاز والمازوت فقد تمت مصادرة عدة سيارات محملة بالغاز والمازوت الداخلة إلى المخيم من قبل عناصر الأمن والمجموعات المسلحة التابعة للنظام واللجان الشعبية – التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة.

- منع دخول الأدوية والمواد الطبية إلى المستوصفات والمشافي في المخيم فكما هو معروف أن مخيم اليرموك يضم الكثير من العيادات الخاصة والمستوصفات بالإضافة إلى أربع مستشفيات هي مستشفى الشهيد فايز حلاوة ويتبع لجيش التحرير الفلسطيني، وهو مُحيد من بداية الأزمة وتم إغلاقه بشكل كامل، ومستشفى الباسل التابع للجمعية الخيرية الفلسطينية وقد تم استهدافه بالقصف لأكثر من مرة ونهب محتوياته، فأصبح يقتصر عمله على استقبال الحالات المرضية فقط و لا يستقبل الحالات الاسعافية الناجمة عن القصف أو القنص لعدم توفر

المستلزمات الأساسية من معدات وكوادر طبية، ومستشفى الرحمة الخاص ويقع في أول المخيم وهو مغلق بسبب اشتداد الاشتباكات حوله، ومستشفى فلسطين التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني وهو الوحيد الذي يعمل الآن في المخيم رغم النقص الشديد الذي يعانيه في الأدوية واللوازم الطبية الضرورية لعلاج المرضى ([6]).

إن الحصار المفروض على اللاجئين الفلسطينيين في مخيم اليرموك وتعطيل الحياة بكل أشكالها أدى تفاقم المعاناة لدى الفلسطينيين بشكل عام والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة وأصحاب الأمراض المزمنة كمرضى الأورام والقصور الكلوي وأمراض الدم، الذين هم بحاجة إلى الدخول والخروج بأوقات قد لا تتطابق مع الوقت المسموح به للدخول والخروج مما قد يؤدي إلى حالات من الوفيات أو المضاعفات الخطير ة لديهم كما هو الحال مع الطفل أسامة فرج الذي قضى نتيجة نقص العناية الطبية.

- كما نال الحصار المفروض على المخيمات العملية التعليمية فيها وذلك نتيجة إصابة المدارس بالقصف الذي تعرضت له، والنزوح الشديد الذي شهده المخيم بالإضافة إلى التخوف الكبير لدى الأهالي الذين تبقوا داخل المخيمات من إرسال أبنائهم إلى المدارس،الأمر الذي يهدد بنسف العملية التعليمية بشكل كامل لأبناء اللاجئين الفلسطينيين وضياع عام دراسي أخر عليهم.

- و لم تكن الحالة الاقتصادية المتردية أصلاً للاجئين الفلسطينيين بمنأى عن الآثار السلبية والضارة للحصار، فلقد تعرضت البيوت والمحلات التجارية لعمليات نهب وسلب ممنهج لخلوها من أصحابها أو صعوبة الوصول إليها نتيجة القنص والقصف الذي يتعرض له المخيم، ما سيفرض على اللاجئ العمل من جديد على تأثيث منزله الذي عاثت به الأقدام وتناقلته الأيدي.

[6] يعمل المشفى بإمكانيات بسيطة جداً ويعاني من نقص في الكادر الطبي فالطاقم الموجود في المشفى عبارة عن طبيبين و15 مسعف معظمهم متطوعين، وكذلك هناك شح في المعدات والمستلزمات والأدوية الهامة والضرورية كأدوية الأطفال ومواد التخدير والمسكنات وأدوية الإنعاش والصادات الحيوية.، اسطوانات الأوكسجين ومفجرات الصدر وأكياس جمع الدم والمستهلكات الطبية بأنواعها والسيرومات.

غياب للاونروا والمنظمات الدولية وحضور لافت للمؤسسات الخيرية والأهلية :

نتيجة لحالة الحصار المفروض على مخيم اليرموك منذ قرابة الشهرين وفي ظل غياب الدور المنشود للمنظمات الدولية والمؤسسات الرسمية لا سيما الاونروا والهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين، قامت العديد من الجمعيات الخيرية والمؤسسات الأهلية والإغاثية واللجان المستقلة المتخصصة بتقديم الخدمات والمهمات الاجتماعية والإنسانية من صحة وتعليم وإغاثة لمن تبقى من اللاجئين الفلسطينيين وغيرهم داخل المخيم تجلى ذلك من خلال عمل هيئة فلسطين الخيرية وهيئة إغاثة الشعب الفلسطيني ومؤسسة جفرا للإغاثة والتنمية الشبابية وغيرها من اللجان الأهلية والشبابية الناشطة داخل المخيم، حيث قامت بتوزيع الطرود الغذائية وقسائم شراء المواد الغذائية وعقد حلقات التعليم المدرسي في البيوت والمساجد.

كما قامت هذه الهيئات والمؤسسات بالدور المفروض أن تقوم به اللجنة المحلية لبلدية اليرموك من إدارة للمرافق العامة داخل المخيم بعد أن توقفت عن القيام بدورها من كافة النواحي سواء الصحية أو الخدمية، فتراكم القمامة والنفايات الطبية ومخلفات الدمار في الشوارع والحارات أصبح ينذر بحدوث أضرار كبيرة تهدد بكارثة إنسانية وبيئية، جعلت المتطوعين من أبناء المخيم يؤدون هذا الدور من خلال حملات نظافة أخذت أسماء متعددة كما في حملة " شمر ونظف "التي قامت بها الهيئة الخيرية لإغاثة الشعب الفلسطيني ومؤسسة جفرا للإغاثة والتنمية الشبابية وحملة " نظف مخيمك "التي نفذتها هيئة فلسطين الخيرية.

الحراك الشعبي والرسمي لفك الحصار عن المخيمات

بدأت منذ اللحظات الأولى للحصار على مخيم اليرموك والمخيمات الفلسطينية الأخرى الدعوات الشعبية والرسمية لفكه والسماح بدخول المواد الطبية والغذائية والمحروقات إليها، وتشكلت لذلك في مخيم اليرموك الهيئة الوطنية الأهلية الفلسطينية، التي ضمت

شخصيات فلسطينية ومحلية من الوجهاء والمستقلين بالإضافة إلى ممثلين عن بعض الفصائل الفلسطينية.

لقد بادرت هذه الهيئة إلى عقد اللقاءات مع طرفي النزاع داخل مخيم اليرموك وأُعلن لأكثر من مرة عن التوصل إلى اتفاق برعاية السفارة الفلسطينية في دمشق يحيد ويجنب المخيمات الفلسطينية مخاطر ما تسير إليه الأزمة في سورية،كما التقت كلاً من نائب رئيس مجلس الوزراء السوري للشؤون الاقتصادية ومساعد وزير الصحة السوري وتم الاتفاق معهما على السماح بإدخال المواد الغذائية والطبية والمحروقات إلى المخيم.

أما على الصعيد الرسمي الفلسطيني فقد قام وفد من السلطة الوطنية الفلسطينية بزيارة للجمهورية العربية السورية برئاسة عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية مسؤول دائرة اللاجئين الفلسطينيين د.زكريا الآغا للقاء المسؤولين السوريين والتباحث معهم حول ضرورة رفع الحصار وتقديم الحماية اللازمة لأكثر من نصف مليون لاجئ فلسطيني في سورية.

إلا أن المتتبع للأحداث يجد أن كل هذه الصرخات والمناشدات لم تلقى الصدى المطلوب لدى الجهات الفاعلة على الأرض وبالتالي ما يزال المخيم راضخاً تحت الحصار.

النتائج والتوصيات

إن ما يتعرض له اللاجئون الفلسطينيون في المخيمات في سورية من قتل ([7])و تنكيل وحصار عمل غير إنساني ترفضه كل الشرائع السماوية والوضعية وبعيداً كل البعد عن ما تنادي به الشعارات القومية، لذا فإنه يتوجب على كل الشرفاء في العالم مساندة ودعم حق الفلسطينيين بالحياة بكرامة وأمن وأمان داخل دول اللجوء ريثما يتحقق

[7] بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين في سورية حوالي 1000 شهيد حتى لحظة كتابة هذا التقرير ولقد سجل مخيم اليرموك وحده سقوط حوالي 110 شهداء.

هدفهم في التحرير والعودة إلى ديارهم التي اخرجوا منها في فلسطين المحتلة عام 1948، والعمل معاً والدعوة إلى :

- المسارعة إلى كسر الحصار المفروض على مخيم اليرموك والمخيمات الفلسطينية الأخرى والسماح بدخول المواد التموينية والطبية والإغاثية وسائل التدفئة إلى المخيمات.

- إلزام الأطراف المتصارعة إلى احترام الوجود الفلسطيني في سورية باعتباره وجود مؤقت فرضته عليه ظروف النكبة والتشريد التي تعرض لها، وممارسة الضغوط الدولية والعربية والفلسطينية اللازمة للحفاظ على حيادية المخيم كون الفلسطينيون ليسوا طرفاً في الصراع الدائر هناك.

- انسحاب كافة العناصر المسلحة من مخيم اليرموك باعتباره مخيماً محمياً بموجب القواعد القانونية المقررة لمخيمات اللاجئين.

- دعوة الحكومة السورية إلى تحمل مسؤولياتها تجاه اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات والتجمعات باعتبارها المعنية بتقديم الحماية والأمن اللازم لهم والسماح للمهجرين من المخيمات بالدخول والخروج الآمنين منها وإليها.

- دعوة السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية والفصائل إلى تحمل مسؤوليتهم عن الشعب الفلسطيني اللاجئ في سورية والتواصل السريع مع الجهات المعنية والشروع باتخاذ خطوات حقيقية على طريق رفع الحصار عن المخيمات.

- محاكاة الجامعة العربية إلى تفعيل بروتوكول الدار البيضاء والقرارات المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين وتأمين الحماية المفروضة للاجئين الفلسطينيين في الدول المضيفة وتقديم المساعدات والدعم المطلوبة لتثبيت اللاجئين الفلسطينيين سواء من تبقى منهم داخل المخيمات أو أصبح مهجراً في دول الجوار.

- وضع المؤسسة العامة للاجئين الفلسطينيين أمام المهام الملقاة عليها بصفتها البوابة الرسمية المعنية بالإشراف على أوضاع اللاجئين الفلسطينيين في سورية وتنظيم شؤونهم ومعونتهم وتأمين مختلف حاجاتهم وإيجاد الأعمال المناسبة لهم واقتراح التدابير لتقرير أوضاعهم في الحاضر والمستقبل حسب نص قانون إحداثها رقم «450» تاريخ 1949/1/25.

- دعوة الاونروا إلى تقديم الحماية للاجئين الفلسطينيين داخل المخيمات الفلسطينية واستئناف ومباشرة أعمال العون والإغاثة التي توقفت داخل المخيمات المحاصرة، ومتابعة شؤون المهجرين منهم إلى خارج المخيمات داخل وخارج سورية، وذلك انطلاقاً من مسؤوليتها المباشرة عن اللاجئين الفلسطينيين.

- العمل على رفع الحصار باعتباره جريمة يعاقب عليه القانون الدولي الإنساني وانتهاكاً جسيماً لمبادئ حقوق الإنسان ومخالفاً للأعراف الدولية والأخلاقية والإنسانية.

- إطلاق حملات التضامن وكسر الحصار عن اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات الفلسطينية في سورية، ولفت الأنظار إلى معاناتهم وتقديم الدعم اللازم لتعزيز صمودهم وتجنيبهم تداعيات ما يجري في سورية من أحداث.